

دور المهاجرين الجزائريين إلى بلاد الشام في حركة التحرير الوطني والعربي 1841-1914م

يونس تامة/طالب دكتوراه

إشراف: د.ليلي تيتة leila.faycal@yahoo.fr

قسم التاريخ والآثار جامعة باتنة 1

Latolga10@gmail.com

الملخص:

يتناول هذا المقال إشكالية هامة مازالت لم تلقى الاهتمام الكبير من طرف المؤرخين حول دور المهاجرين الجزائريين إلى بلاد الشام أثناء فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر لاسيما الفترة الممتدة بين 1841-1914م وخاصة بعد سقوط دولة الأمير عبد القادر وما صاحبها من هجرات، والتي زامت مع عهد بوجو. تعددت أسباب ودوافع الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام، ولعل الإشارة إلى السياسة الفرنسية الاستثنائية تعد أكثر من ضرورة حيث مست مختلف الميادين، أدت في النهاية إلى دفع عدد كبير من أبناء البلد الأصليين إلى مغادرة قراهم نحو بلاد الشام، وكان من الطبيعي أن يبرز على مسرح الأحداث دور الأمير عبد القادر وأبنائه وأحفاده في القضايا الوطنية والعربية، وقد اعتاد الجزائريون من خلال أحاديثهم وصحافتهم أن يشنوا حملات مسمومة ضد السياسة الفرنسية في الجزائر، ما أسهم في مد الجسور مع العالمين العربي والإسلامي وفي ميلاد الحركة الوطنية الجزائرية.

الكلمات المفتاحية: الهجرة، الجزائريين، الشام، عبد القادر، التحرير.

Abstract:

This article deals with a significant problem that has not received much attention from historians on the rôle of Algerian immigrants to the Levant during the period of the French occupation of Algeria, especially the period between 1841-1914 after the fall of the state of Prince Abdul Qadir and the associated migrations, The reasons and motives of the Algerian emigration to the Levant, and perhaps the reference to the French policy extraordinary is more than a necessity where different fields, eventually led to a large number of native people to leave their villages towards the Levant, and it was natural to emerge on the scene of the latest role The Amir Abdelkader and his sons and grand children in national and Arab issues. The Algerians have used their speeches and their press to launch poisonous camp against French policy in Algeria, which contributed to building bridges with the Arab and Islamic worlds and the birth of the Algerian national movement.

Keywords: Immigration, Algerians, Cham, Abdelkader, Editing.

مقدمة:

كثيرة هي الأبحاث والدراسات التي تناولت تاريخ الهجرة الجزائرية ابان الاحتلال الفرنسي بعد الحرب العالمية الاولى، وأدوارها السياسية ومساهماتها الفكرية والثقافية، بينما قليل منها من سلط الضوء عليها خلال القرن 19م وخاصة النصف الثاني منه، ذلك أن معظم هذه الهجرات كانت نحو الشرق العربي الاسلامي وخاصة بلاد الشام من خلال الدور التنويري القومي والوطني الذي قامت به، أما منذ الحرب العالمية الاولى فقد أصبحت نحو فرنسا بالخصوص، وهي الهجرة التي ما تزال الجزائر تعاني نتائجها غربة وأخلاقا ودينا وتبعية أيضا.

من هذا المنطلق جاءت دراستنا محاولين امادة اللثام على جانب من تاريخ الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام، وعلى هذا الاساس يمكن طرح الاشكال التالي: الى أي مدى ساهم المهاجرون الجزائريون الى بلاد الشام في بعث حركة التحرير الوطني والعربي؟

وللإجابة على هذه الإشكالية يمكن طرح الأسئلة الفرعية التالية:

ما مفهوم الهجرة؟ وفيما تمثلت دوافعها وأسبابها؟

كيف برز دور المهاجرين الجزائريين الى بلاد الشام في القضايا الوطنية والعربية؟

أولا: التعريف بالهجرة وأصولها:

جاءت في اللغة العربية من (الهَجْرُ) ضد الوصل، والاسم (الهَجْر) و(المُهَاجِرُ) من أرض الى أرض ترك الاولى للثانية و(التَّهَاجُرُ) التقاطع، وفي الانجليزية نجد Immigration ونعني الشخص أو الاشخاص الذين يهاجرون من بلد أو مكان آخر دوريا أو موسميا أو بقصد العمل، ويتضح الفرق بين المفهوم الاول والثاني في مدة الإقامة ومكانها⁽¹⁾. في المفهوم الاصطلاحي تدل كلمة الهجرة في علم السكان على الانتقال المكاني والجغرافي لفرد أو جماعة⁽²⁾، وأما في علم الاجتماع فتدل الهجرة كما ورد في لسان العرب على الخروج من أرض الى أرض أخرى... وكل من فارق أرضه وسكن بلدا آخر فهو مهاجر... ولو اقتصر اقامته على مدة وجيزة، وغالبا ما تدل على الاغتراب بالمعنى السوسيولوجي، وهي تشمل كل أوجه الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية⁽³⁾.

عرف أول مؤتمر دولي حول الهجرة والمهاجرين المنعقد بروما⁽⁴⁾ شهر ماي 1924م "المهاجر" بأنه كل أجنبي يصل الى بلد طلبا للعمل ويقصد الإقامة الدائمة... وهذا نقيض العامل الذي يصل الى بلد للعمل فيه بصفة مؤقتة⁽⁵⁾، ومن خلال هذا التعريف فانه لا يمكننا اطلاق لفظ "المهاجر" على جل الجزائريين، ذلك أن من خصائص المهاجر الجزائري أن لا يقيم مدة طويلة بدون سفريات منتظمة الى وطنه الأصلي، فهجرته مؤقتة، ومن خلال تحقيق أجراه المكتب العالمي للشغل توصل الى تعريف شرعي للمهاجر، فهذا الاخير يختلف تعريفه من بلد الى آخر باختلاف المعايير عند كل دولة⁽⁶⁾.

وعليه من خلال هاته التعريفات يمكننا اعتبار الهجرة الجزائرية ظاهرة استعمارية لكونها انطلقت بشكل مكثف، بعد اشتداد الضغط الاستعماري الفرنسي على الجزائريين، من خلال ممارسته مختلف أنواع التعذيب والقتل والتشريد والتجوع، بهدف ابعاد الوطنيين عن الساحة من جهة والاستيلاء على أوسع مساحة من الاراضي للوافدين الجدد من الاوربيين من جهة أخرى، ونذكر في هذا الصدد أن الجزائري كان حريصا آنذاك على ثلاثة أشياء مثلت عناصر الرجولة لديه هي (الارض، الزوجة، البندقية)، اذ أنه لا يعتبر نفسه رجلا اذا فرط فيها، وتسمح له البندقية بالدفاع عن الاثنين، أو الهجرة الى الخارج⁽⁷⁾، وكانت أهم البلاد الاسلامية التي قصدها الجزائريون: سوريا،

ومصر، والحجاز، والمغرب، وتونس، وتركيا، وقد تميزت الهجرة الى سوريا بأهمية خاصة نظرا لاستقرار الامير عبد القادر وعائلته واخوانه بها منذ عام 1856م ما لفت اليها أنظار الجزائريين فاتجهت نحوها موجات من الهجرة. أما الحديث على أصول الهجرة الجزائرية فإنه يقودنا الى الحديث عن تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني (1518-1830م) الى الاحتلال الفرنسي (1830-1962م)، وهنا نلاحظ بأن هجرة الجزائريين في البداية خاصة في العهد العثماني كانت بسبب الرحيل لأداء فريضة الحج أو لطلب العلم أو للإتجار، هذا مما يفسر بأن هجرة الجزائريون في هذه الفترة كانت مخيرة لا مرغمة. في حين بعد ظهور الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م، تميزت الهجرة الجزائرية خاصة بداية من 1832م بصيغة مغايرة وهي صيغة الإرغام، فبدأت بشكل فردي ثم توسعت إلى هجرة جماعية، وقد تزامن هذا مع توسع اضطهاد فرنسا للجزائريين أكثر من أي وقت مضى من خلال عمليات الابادة الوحشية، وفرض الغرامات الباهظة، والمصادرات العقارية، مما كان سببا في هجرة بعض الجزائريين نحو تونس والمغرب⁽⁸⁾. هذا وتذكر المصادر التاريخية أن مدينة الجزائر وحدها قد نقص عدد سكانها بأكثر من النصف سنة 1836م⁽⁹⁾، وخلت مدن عنابة ووهران وبجاية والمدينة وتلمسان ومستغانم من سكانها كذلك قبل أو أثناء احتلال العدو لها، وبالطبع فإنه ليس كل من خرج من مدينة قد هاجر منها الى المشرق أو المغرب مباشرة، فقد تفرق السكان في البداية خارج المدن انتظارا لما ستسفر عنه الحرب، ولجأ آخرون الى المدن والمراكز التي سيطر عليها الامير عبد القادر، ولم يهاجر فعلا الى خارج الحدود الا عدد محدود، وهم أولئك الذين لهم المال أو لهم العلم أو لهم امكانيات الاستقبال، وهكذا هاجر عدد من المثقفين والبرجوازيين الجزائريين الى المشرق وهاجر بعضهم أيضا الى المغرب وتونس. ومن الأكيد أنه لم يهاجر منهم أحد الى أمريكا أو فرنسا عندئذ⁽¹⁰⁾.

أما مظاهرها العامة الاولى فتعود حسب علمنا الى عام 1847م، حيث تذكر بعض المصادر الفرنسية أن كثيرا من العائلات الجزائرية من بلاد القبائل قد هاجرت حوالي تلك السنة الى سوريا بتوجيه من أحد شيوخ الطريقة الرحمانية سيباو الأعلى بحجة "مداهمة الكفار" داعيا اياهم الى الهجرة من أرضهم المغتصبة للاقتراب من مقر الاسلام، وبمرور الزمن أصبحت الهجرة الجزائرية ظاهرة لافتة حركتها دوافع عديدة وهو ما سنحاول معالجته في النقطة المقابلة⁽¹¹⁾.

ثانيا: أسباب هجرة الجزائريين نحو بلاد الشام

تعددت الاسباب والدوافع التي ساهمت في تنامي ظاهرة الهجرة في أوساط السكان الجزائريين، فكانت الهجرة نحو البلاد الاسلامية عامة وبلاد الشام خاصة وهي موضوع الدراسة، وقد تعلق أسبابها أساسا بالأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والدينية والنفسية التي عاشها الجزائريون من جراء السياسة الاستعمارية المتخذة بالجزائر من بداية الاحتلال سنة 1830م الى غاية بؤادر اندلاع الحرب العالمية الثانية⁽¹²⁾.

1-الدوافع الاقتصادية والاجتماعية:

يقول أحد منظري الاستعمار الفرنسي في بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر والملقب بألكسي دي توكفيل Alexis de Tocqueville أثناء تدخله في المجلس الوطني الفرنسي: "إن المصلحة العليا لفرنسا في العالم اليوم تكمن بالتأكيد في السيطرة على الجزائر بدون عنف وفي التعجيل باستعمارها، وإن هذه لمصلحة عظيمة في حد ذاتها، وكذلك في علاقاتها مع بقية مصالحننا الاخرى ويتعلق الامر هنا بمسألة تفوقنا على الصعيدي الاوربي، وبتحقيق توازن ميزانيتنا وتيسير سبل المعيشة لقسم من مجتمعنا وبالحفاظ على شرفنا الوطني"⁽¹³⁾. هذه العبارات كانت لنائب فرنسي كان مشهورا آنذاك ومازال الى يومنا بتأييده لفكرة الغزو العسكري لإيالة الجزائر والسيطرة الكلية على مقدرات الجزائر حيث دعا الى حضر المبادلات التجارية وتدمير البلاد عن آخرها، ولم يتوقف هذا النائب عند هذا الحد بل ختم كلامه

مضيفا: "إن من الاهمية الفائقة أن لانتترك في أراضي عبد القادر مدينة أو قرية إلا ودمرناها، وأن لا نسمح بتشديد مدن جديدة قد يلجأ إليها ثانية"⁽¹⁴⁾.

انطلاقا من هذه العبارة يمكن حصر أهم الأسباب الاقتصادية والاجتماعية لهجرة الجزائريين نحو بلاد الشام في الاستيلاء على أجود أراضيهم إذ أنه خلال قرن من الاحتلال (1830-1929م) كان الاستعمار الفرنسي قد بنى 928 قرية استيطانية، ووزع على الأوروبيين ما يقارب من 1.5 مليون هكتار من أجود أراضي الجزائر، ومما زاد في تفاقم الهجرة أن الأراضي المسلوقة قد حولت الى انتاج محاصيل تجارية استهلاكية تخدم حاجات الاوربيين وبخاصة كروم الخمر، وفي مقابل ذلك امتازت أراضي الجزائريين بالقحط وتفتت الملكية⁽¹⁵⁾ وبالتالي ضعف مردودها الغذائي، فكان أساس السياسة الفرنسية في قطر الجزائر هو "التفجير" بالعمل على خفض الاجور والقدرة الشرائية للعمال الفلاحين، وارتفاع معدلات البطالة بإبعاد الجزائريين عن الوظائف الحكومية والادارية، حيث فاق عدد العاطلين عن العمل أكثر من مليون رجل عاطل. أما السكان الأوربيين فقد سكنوا الدور والقصور الجميلة في المدن والقرى، في حين تاه الجزائريون في البادية من خيام الصوف والوبر، ثم مدائن القصدير الرهيبة على مقربة من المدن يضمنهم الجوع ويحطمهم الاهمال مما ساهم في انتشار الامراض وانخفاض معدل الاعمار، وهكذا ضرب مرض السل أطنابه في البادية وعلى ضفاف المدن بصفة مريضة، وبينما تحدث الاحصاء الرسمي بأن معدل حياة الاوربي في قطر الجزائر هو 72 عام، كان معدل حياة الجزائري لا يتجاوز 50 سنة⁽¹⁶⁾، فالبطالة من جهة وانخفاض الاجور من جهة أخرى جعلتا الايدي العاملة الجزائرية تبحث عن ميادين للعمل كي لا تموت البلاد جوعا، وقد تبني غالبية المؤرخين الفرنسيين المعاصرين هذا التفسير والذي مفاده أن الهجرة عواملها اقتصادية، فكانت مؤلفاتهم نقدا عنيفا لأعمال الادارة الفرنسية في الجزائر وحمل هؤلاء الادارة الاستعمارية الوزر لأنها كانت في نظرهم ترفض العمل على تخفيف وطأة الفقر وازالة أسباب الحرمان الاقتصادي في المستعمرة⁽¹⁷⁾.

الى جانب هذه السياسة الاستيطانية الاستعمارية القاسية تعرض الأهالي لنكبات ومصاعب قاسية في أعوام 1867م، 1868م⁽¹⁸⁾، 1893م، و1897م، فتفشيت بينهم الامراض والابوثة المعدية كالكوليرا والتيفوس وهجمت عليهم أمواج الجراد وداهمهم القحط والجفاف ففقدوا كل شيء⁽¹⁹⁾، وتحول أغلبهم الى خماسين ومزارعين وعمالا موسميين بأجور زهيدة جدا لا تفي حتى بأبسط الضرورات اليومية لأطفالهم وعائلاتهم⁽²⁰⁾.

2-الدوافع السياسية والدينية:

يمكننا القول أن السبب وراء هجرة عدد كبير من الجزائريين يعود الى ملامح الحكم الفرنسي في حد ذاته، فهو لم يكن عادلا ولا تعاونيا ولا حتى متقبلا للوضع الجزائري بل حكما اضطهاديا وقاسيا⁽²¹⁾، وتوجد أسباب أخرى وراء فعل الهجرة لعل أهمها انعدام الحرية، فما دام القانون يعتبر الجزائريين رعايا، فان الفرنسيين لم يعترفوا لهم بحقوقهم في التمتع بكامل الحريات المدنية والسياسية كمواطنين، اضافة الى الملامح الاضطهادية للحكم الفرنسي التي مثل قانون الأهالي Le code des indigènes أسوأها⁽²²⁾. وقد انتهى هذا الوضع باعتقاد المستوطنين بتفوقهم العنصري، وايجاد تبرير فلسفي لاحتفاظهم بامتيازاتهم السياسية والاجتماعية فوصفوا العرب بأنهم جنس غير قابل للتعليم، وشهدت الجزائر نوعا من سياسة التفرقة العنصرية والدليل عليها أن القليل من الجزائريين الذين تنجسوا حسب تشريع 1865م بل حتى الذين اعتنقوا الكاثوليكية لم تتغير نظرة المستوطنين اليهم فسموهم بالمسلمين الكاثوليك، ورفضوا أن يكونوا أغلبية في المجالس المحلية المشتركة، وقد ظهرت آثار السياسة العنصرية في جميع نواحي الحياة، فمن حيث المشاركة في الادارة المحلية، كان تمثيل العنصر الوطني ضئيلا، وفي القضاء انتزع الفرنسيون تدريجيا اختصاصات المحاكم الشرعية وحولوها الى محاكم مدنية، وبعد صدور قانون إلحاق الجزائر بفرنسا اداريا عام 1834م أخضعت جميع المحاكم الشرعية لوزارة العدل في باريس، ثم للحاكم العام منذ 1896م، ويعترف المشرع

الفرنسي بأن الاجراءات المعقدة في القوانين المستحدثة قد عرضت الجزائريين لاستغلال المحامين، ولكن مطالبة الادارة بتغيير نظام القضاء تم استبداله بقضاء خاص بالسكان الأصليين بإنشاء المحاكم الرادعة. أما من حيث الضرائب، فقد أعفت الحكومة الفرنسية المستوطنين من ضرائب الدخل والشركات رغم أنها كانت سارية المفعول بفرنسا، في حين أرهق الجزائريون بالضرائب من زكاة العشور المتعلقة بالأراضي الزراعية، الضريبة الحيوانية والرأس... الخ، ومع فقدان وسائل التعبير اكتشف الجزائريون بأنه لا يمكنهم البقاء في وطنهم بأي حال. لقد لاحظ الفرنسيون المنصفون هذه الحالة وعبروا عن اهتمامهم بذلك إلى بلادهم⁽²³⁾.

هكذا إذا حمل الأعيان والقادة السياسيين منذ الوهلة الأولى على مغادرة بلادهم، واثموا بالتأمر ضد الفرنسيين أو بالارتباط بالأتراك أو بالانضمام إلى مقاومة عبد القادر، ومن هؤلاء رجال تقلدوا سلطات قضائية و إدارية من البايات وأعاونهم من أمثال الباي مصطفى بومرزاق، والباي حسن بن موسى و المفتيان محمد بن العنابي ومصطفى الكبابطي و حمدان خوجه و غيرهم⁽²⁴⁾. شكلوا في البداية لجنة "الحضر" لمعارضة الاحتلال ثم طردهم الحاكم الفرنسي الجديد كلوزيل Clauzel ليخلفه دي روفيقو De Rovigo، و قد امتاز عهد بوجو Bugeaud 1841-1847م بنفي وطرده كل زعيم سياسي أو إداري لم يتعاون صراحة مع فرنسا حيث تم نقلهم قسرا إلى سجون نائية مثل كاليدونيا الجديدة والمارتنيك Martinique وسانت مرغريت St. Margaret وغيرها، وهكذا أجبر هؤلاء على الهجرة من جهة وعلى الإقامة بعيدا عن أرض الشرق والاسلام والعروبة من جهة أخرى⁽²⁵⁾.

أثناء عهد بوجو فكر الجزائريون وعلى رأسهم الأمير عبد القادر في الهجرة الجماعية نحو الشرق ومع مرور الوقت أصبحت واقعا سياسيا ودينيا خاصة بعد ضياع عاصمة الأمير، حيث هاجر قدور بن رويلة وأحمد بوضربة والمهدي السكلاوي وبومعزة وحسن بن عزوز وغيرهم، وأخيرا خرج الأمير بنفسه رفقة عشرات من أتباعه مباشرة نحو المشرق لاسيما بلاد الشام بالرغم من مسارعة فرنسا وتديريها مؤامرة الجاسوس الشهير "ليون روش" Leon Roosh وفتوته الداعية لعدم الهجرة الجماعية للمسلمين وعدم محاربة فرنسا. وصل الأمير عبد القادر إلى دمشق حسب المؤرخين سنة 1855م مرفوقا بحوالي 110 شخص من بينهم 27 فرد يكونون أفراد عائلته قادما من إبروسا، في هذا الوقت غادر حوالي 100 شخص من بروسيا عبر البر إلى دمشق والتقى الجميع في دمشق. نفس المصير عرفه الحاج عمر زعيم الطريقة الرحمانية بالقبائل إذ هاجر بأهله وبولده الشريف بوبغلة، وبنت الشريف مولاي ابراهيم إلى المشرق بعد ثورة 1857م، وفي أواخر القرن 19م هاجرت كل من عائلة الطيب العقبي، والشيخ البشير الابراهيمي وحمدان لونيسي⁽²⁶⁾.

لقد كان من بين أسباب الهجرة الرئيسية أيضا مراقبة المؤسسات الدينية⁽²⁷⁾، فأول ضربة ضرب بها الاستعمار في قطر الجزائر، بعد تقويض أسس الدولة الجزائرية، هي تلك الضربة التي ألحقت بها الاوقاف الاسلامية بممتلكات الدولة سنة 1830م، فكل المساجد والمؤسسات الاسلامية قد أصبحت من ممتلكات الدولة الفرنسية الخاصة، وفي مقال نشره أحد موظفي الولاية الجزائرية جاء فيه: "لقد وصل بنا اتمان واحتقار الدين الاسلامي، إلى درجة أننا أصبحنا لا نسمح بتسمية المفتي أو الامام إلا من بين الذين اجتازوا سائر درجات التجسس، ولا يمكن لموظف ديني أن ينال أي رقي إلا اذا أظهر للإدارة الفرنسية اخلاصا منقطع النظير"⁽²⁸⁾. ليس هذا فحسب بل بسطت نفوذها التام على جميع الشؤون الاسلامية، ولذلك أثار هذا لا معارضة الجزائريين فحسب ولكن معارضة الفرنسيين أيضا، وهنا أصبح للعامل الديني الأثر البالغ في حركات الهجرة الجزائرية إلى الولايات العثمانية والمشرق العربي لسبب بسيط هو أن مبادئ الدين الاسلامي ترفض مطلقا اخضاع المسلمين كرها إلى أية قوة.

بالإضافة إلى الشعور الذي حرك دوما الجماهير الشعبية، لعبت الطريقة دورا هاما في هجرة الجزائريين إلى سوريا، من ذلك تذكروثائق الارشيف أن الشيخ المهدي أحد الطريقين ببلاد الزاوة، قد استطاع بمفرده أن يبعث

عشرات العائلات الجزائرية إلى الهجرة نحو سوريا حينما تأكدت نية فرنسا احتلال القبائل سنة 1947م⁽²⁹⁾، ولكن الهجرة التي هزت وجدان الجزائريين وأثارت مخاوف الفرنسيين هي هجرة تلمسان عام 1911م التي صاحبها أمثال الشيخ محمد بن يلس زعيم الطريقة الدرقاوية، وقد كان السبب الظاهري لهذه الهجرة هو قانون التجنيد الإجباري للشباب الجزائري، وهكذا لم تحن الحرب العالمية الأولى حتى كانت الهجرة من الجزائر نحو المشرق قد بلغت أوجها⁽³⁰⁾، خاصة حينما أفتى علماء بكفر الذين يموتون تحت العلم الأوربي، فظهرت هجرة شبه جماعية في كثير من المدن الجزائرية إلى المشرق خاصة بلاد الشام وتركيا⁽³¹⁾.

من جهة أخرى كانت الجامعة الإسلامية سببا آخرًا هامًا في الهجرة الجزائرية، فالرسائل التي كان يبعث بها المهاجرون الجزائريون في القرن 19م إلى ذويهم في الجزائر، والتي كانت تصف الحرية والاخوة في الشرق الأدنى، قد جعلت بعض الجزائريين يصدقون ما يقرأون، وقد شجعت سياسة الاضطهاد الفرنسية المتبعة منذ الاحتلال بعض الجزائريين على أن يتعطشوا ويحلموا بحياة أفضل في الخارج لذلك جمعوا أمرهم وتوجهوا إلى المشرق وبالأخص بلاد الشام، وقد أضيفت إلى ذلك دعاية عبد الحميد الثاني منذ الثمانينات من القرن التاسع عشر⁽³²⁾.

ثالثًا: إسهامات المهاجرين الجزائريين إلى بلاد الشام في حركة التحرير الوطني والعربي:

1- الدور الوطني:

نشاط محي الدين بن عبد القادر في ثورة المقراني:

انه من المعروف على نطاق واسع أن المهاجرين إلى بلاد الشام، أصحاب هجرة سياسية وليس اقتصادية كإخوانهم الذين هاجروا إلى فرنسا وان كانت فهمي بدرجة ثانية، كما أنهم أصحاب كفاءات عالية، ويتساءل سهيل الخالدي "أوليس من المنطق -أذن- أن تظهر فيهم حركة سياسية لصالح وطنهم أم أن سحر الشرق أنساهم الوطن؟". وكإجابة على ذلك فمعروف أن الحركة الوطنية بدأت تبلور نفسها في مطلع القرن 20م في تنظيمات حديثة داخل الوطن وخارجه، ودون ريب كان كل مهاجر جزائري يطمح مع أبناء شعبه لتحرير بلده، وبالرغم من أن فرنسا قد شددت الرقابة على الأمير عبد القادر بالمشرق العربي، إلا أن المقراني صرح بنفسه بأن له صلة به وبثورته عام 1871م⁽³³⁾. ويبدو أن هذه الصلة كانت من خلال ابن الأمير عبد القادر محي الدين كما بينها الدكتور يحي بوعزيز، وقد حاول الأمير عبد القادر على المستوى العلمي أن ينأى بنفسه عن هذه العلاقة ونعتقد أنه على المستوى السري قد كان يدعمها من خلال تونس واسطنبول⁽³⁴⁾.

بحلول الأمير عبد القادر إلى دمشق ليقوم فيها، أخذ الأمير محي الدين يتبرم ويكثر من الشكوى وأخذت نفسه تتوق للعودة للنضال والجهاد من أجل تحرير الجزائر، وفي الوقت الذي كانت هذه الرغبة مازال تلج حتى اندلعت الحرب الفرنسية الألمانية عام 1870م، حدثت في أعقابها اضطرابات في الجزائر انقلبت إلى ثورة 1871م على الفرنسيين، فرأى الأمير محي الدين أن الفرصة قد سحت للعودة إلى مجاهدة الفرنسيين، فغادر دمشق نحو ميادين القتال الجزائري ويقول يحي بوعزيز: كان ظهور محي الدين بالمنطقة حافزا قويا للسكان على حمل السلاح.... وأرسلوا وفدا إلى محي الدين بتقرين للقائه.... فكان وصول محي الدين اليهم له تأثير عليهم، كما أن محاولة تحقيق الاتصال بين محي الدين والمقراني بالمراسلة والمبعوثين قد كان له دور في توسيع نطاق الثورة في دائرة تبسة، وقد يكون له دور في توسيع نطاق ثورته إلى جهات كثيرة أيضا⁽³⁵⁾.

في نفس السياق يذكر نويهض في أعلام الجزائر: "ونهض لتجديد الجهاد الذي بدأه أبوه، وتحرير الجزائر من الاحتلال الفرنسي، ووصل إلى منطقة "الجريد" بتونس وانتشرت أخبار حركته، فممنع من دخول الجزائر فبعث إلى زعمائها بنحو 200 رسالة يدعوهم للاستعداد، وسافر إلى مالطه فتنكر ودخل الجزائر ثم أظهر نفسه.... ووقعت بينه

وبين الجيوش الفرنسية معارك.... وتوقفت الحرب بين ألمانيا وفرنسا، أقبل الفرنسيون لسحقه فغادر الجزائري إلى حدود تونس وأبقى من كان معه من الجزائريين فيها، وعاد إلى مدينة صيدا بلبنان فأقام بها نحو سنة ثم دخل دمشق⁽³⁶⁾. ويبدو أن الأمير محي الدين بن الأمير عبد القادر كان يلقي حفاوة وترحيبا بالغين من الجزائريين في الصحراء التي وصلها من الحدود التونسية بعد مكاتبات منه إلى رؤساء قبائلها لتعصيد الثورة ضد فرنسا. استقدمه السلطان العثماني عبد الحميد بن عبد العزيز فأكرمه وأعطاه لقب باشا ونقله من السلك الملكي إلى السلك العسكري وأغدق عليه بالعلوات الكبرى⁽³⁷⁾.

-بعث الحركة الوطنية الجزائرية:

لقد ساهم المهاجرون لا في نشر دعاية الجامعة الإسلامية فقط في الجزائر، بل في تعزيز الروح الوطنية من خلال أحاديثهم واتصالاتهم وشنهم لحملة مسمومة ضد السياسة الفرنسية، فصحافتهم اعتادت أن تصف فرنسا بأنها "أسوأ دولة مضطهدة" للجزائريين⁽³⁸⁾، وكانت هجوماتهم مركزة على القوانين الاستثنائية التي يقولون بأنها قد أحالت الجزائريين إلى عبيد وبؤساء، وعلى نظام الاعتقال السري، وعلى العراقيل التي وضعت في طريق العمل الحر بالدين، وعلى وضع الاوقاف الإسلامية تحت سلطة الدولة الفرنسية وتحطيم التقاليد العربية والإسلامية، وعلى منع الحج إلى مكة، ورفض قبول الجزائريين في الخدمات المدنية، بالإضافة إلى عدم المساواة في توزيع الضرائب، وفرض التجنيد الإجباري على الجزائريين⁽³⁹⁾، ومن جهة أخرى فقد ركزت الصحافة تعاليقها على أن الجزائر لم تعد أرض اسلام، وأن فرنسا تسعى دائما إلى محو أي أثر للدين واللغة العربية وكل ما يبعد الجزائريين عن حضارتهم العربية الإسلامية، وليس هذا فقط بل ارغام الاطفال على تعلم اللغة الفرنسية وصرفهم عن تعلم اللغة العربية⁽⁴⁰⁾.

ونظرا لسمعة وتأثير عائلة الأمير عبد القادر على الجزائريين داخل سوريا، فقد كانت هدفا للدعاية من جميع النواحي حيث يشير تقرير السيد "فارنييه" Varnier إلى أنها أصبحت منهجا ثابتا بين فرنسا وتركيا⁽⁴¹⁾، فقد بذل الفرنسيون جهودا كبيرة لجذب المهاجرين الجزائريين نحو فرنسا، ولذلك وعدوهم بالمعونات والوسمة والمعاملة الحسنة. وفي نفس السياق عمدت السلطات العثمانية إلى التكفل بعائلة الأمير عبد القادر وعائلات الأعيان الذين وفدوا إلى منطقة الشام، ولم يلبثوا أن صاروا الجهة التي عولت عليها تركيا من أجل التنسيق وتنظيم الجالية وترتيب سياسة ادماجها في المؤسسات التركية وتهيئة الأجواء والأوضاع للجالية الجزائرية من أجل الإقامة الدائمة. وتماشيا مع مناوراتها الدبلوماسية استدعت فرنسا عام 1911م أحد أبناء الأمير عبد القادر وهو الأمير عمر⁽⁴²⁾ إلى باريس لاستلام وسام "الصدر الأعظم" Legion d'Honneur وقد أعدت لذلك كل وسائل الاعلام الفرنسية والممثلين الفرنسيين في الجزائر والشرق الأدنى وسخرت دعايتها لتظهر أن المهاجرين الجزائريين، وخصوصا عائلة الأمير عبد القادر، لم يكونوا ضد فرنسا⁽⁴³⁾.

ويقول أحد الكتاب أن جميع أفراد أسرة الأمير عبد القادر قد أصبحوا مواطنين عثمانيين باستثناء ثلاثة أمراء: أحمد، عمر وخالد، وقد كان من المقدر للأخير أن يصبح زعيما وطنيا في العشرينات من هذا القرن⁽⁴⁴⁾، وفي هذا الصدد تشير المراجع بوضوح إلى وجود علاقة سياسية قوية بين حركة الأمير خالد والتي تكللت بتأسيس حزب نجم شمال إفريقيا وبين القوى السياسية العربية العاملة على استقلال المشرق العربي عن تركيا، فقد كانت العلاقة بين المهاجرين الجزائريين في الشام والدروز من أهله رفيعة المستوى... وزعامة الدروز معقودة لعائلة الاطرش وعلى رأسها سلطان باشا الاطرش الذي اعتبر قائدا للثورة السورية الكبرى 1925-1927م، ولذلك فإن نص محمد البجاوي في كتابه حقائق عن الثورة الجزائرية يعتبر نصا ملفتا للنظر حيث يقول: "كانت حماسة المهاجرين الجزائريين تفوق حد الوصف فبرنامج الأمير وشعار الاستقلال انتشر في فرنسا وتجاوزها إلى الجزائر... وقرر خالد عندئذ أحداث منظمة سياسية تكون في الواقع أول حزب سياسي جزائري حقيقي سماها (نجمة شمال إفريقيا) رغبة منه في التنويه بوضوح

بتعاون جميع بلدان المغرب العربي في الكفاح، مثلما كان الحال بينه وبين سلطان باشا الاطرش زعيم الدروز في سوريا، كان يفكر أنه يتوجب عندما يحين الوقت بعثرة القوى الاستعمارية ويجب اعلان الثورة⁽⁴⁵⁾.

تجدر الإشارة أنه بين سنة 1913-1919م بدأ نجم الامير خالد يتألق في عالم السياسة وبرز شخصه في الميدان كأعظم شخصية وطنية قومية ظهرت بالجزائر في وقت كانت تعاني فيه الجزائر أشد الأزمات، فالحقوق معدومة والمظالم مرهقة والضرائب فادحة والأحكام والقوانين الزجرية قاسية رهيبة، وفي هذا الجو المكفهر وصلت الأمير دعوة من المؤتمر العربي الذي انعقد بباريس 1913م للبحث في شؤون حقوق العرب في إطار الخلافة العثمانية، وبما أن الامير وقتئذ كان في حالة استعداد للسفر الى دمشق فقد كتب الى المؤتمرين رسالة يعتذر فيها عن التخلف...ومما جاء فيها قوله: "وأدعوا الله من صميم الفؤاد أن يثبت سعيكم واني واحد منكم قلبا وقالبا...وكنتم أود أن أحضر بنفسني في مؤتمركم العظيم، ولكنني مشغول بالسفر الى زهرة سوريا منشئي ووطني دمشق، وهناك أقف حسب طاقتي بما هو واجب على كل وطني غيور والسلام"، ويبدو أن وفاة الأمير خالد يوم 1936/01/10م قد أحزنت كثيرا الشعب العربي في سورية وقواه الوطنية كما يستدل على ذلك من صحف سورية في تلك الفترة ومن الجنازة التاريخية وأعداد المصلين الذين صلوا عليه في المسجد الأموي رغم سلطات الاحتلال الفرنسية في سورية آنذاك⁽⁴⁶⁾.

والواقع أن مساهمة المهاجرين الجزائريين في الحركة الوطنية كانت مع ذلك متواضعة، ولعل ضعفها الرئيسي يرجع الى أنها كانت مساهمة غير مباشرة وحاسمة، غير أنه يجب أن نذكر هنا أن المهاجرين الجزائريين في الشرق الأدنى قد ساهموا بعمق في حركة الجامعة الاسلامية والقومية العربية من خلال صحائفهم وقياداتهم وسمعتهم كمثال للمجاهدين، وهكذا فان الحركة الوطنية الجزائرية قد أصبحت عشية الحرب العالمية الاولى قوة كبيرة وضعت فرنسا منذئذ في صف المدافع⁽⁴⁷⁾.

2- الدور العربي:

- مكانة المهاجرين الجزائريين في بلاد الشام:

لم يفصل المهاجرون الى بلاد الشام نضالاتهم القوية ضد الامبراطوريات الاستعمارية، فكما نظروا الى هذه الامبراطوريات نظرة واحدة، نظروا الى نضالاتهم في المشرق والمغرب نظرة واحدة أيضا، بل لعلمهم من الناحية التاريخية أول من أسس هياكل سياسية تضم أبناء المغرب العربي جميعا، فجمعية مجاهدي افريقية الشمالية وأختها مهاجري شمال افريقية أقدم في التأسيس من حزب نجم شمال افريقيا⁽⁴⁸⁾. وقد تمتعوا في الشرق الأدنى وبدرجة أكبر في بلاد الشام بحرية وسمعة عظيمة، وتولو المناصب العليا خاصة من مسيحي الشرق الأدنى، ولاسيما في سوريا ولبنان نظرا لموقف الامير عبد القادر سنة 1860م حيث أنقذ الآلاف منهم من مذبحه أثناء أزمة طائفية، ولعلمهم حصلوا على هذا الامتياز لشهرتهم كأخصار للجامعة الاسلامية و(مجاهدين) حاربوا "الكفار" الفرنسيين ثم ابتعدوا عنهم طالبين الملجأ في الشرق الأدنى كمثال للمسلمين الحقيقيين⁽⁴⁹⁾، ومن خلال قراءة الصحف التي كانت تصدر في ذلك الوقت، فضلا عن البرقيات وخطابات القادة السياسيين يستشف صراحة وجود سياسة استقطاب قامت بها الحكومة التركية، ترمي الى تشجيع المغاربة الى الخروج من شمال افريقيا ومن البلاد التي احتلها الاستعمار الاوربي، فقد كلف الحاكم العثماني في دمشق باشا عدل أن يقوم بتوزيع الأراضي والمنازل والمواشي على المهاجرين القادمين من بلاد شمال افريقيا، حتى ينسوا تماما أوطانهم كما أعطيت للمهاجرين في منطقة خربة الشعب بعض التعويضات المالية، على أن تسدد عن طريق التقسيط عندما تحل مواسم جني المحاصيل الزراعية فضلا على بناء السكنات لهم، ويشير تقرير السيد فارنييه الى أن السلطات التركية قد نصبت بعض الجزائريين المهاجرين للتكفل والاشراف على القادمين الجدد، من ذلك الشيخ صالح التونسي معلم في مدرسة، فقد كان يطلع والي دمشق على كل ما يتعلق بالمهاجرين ويكتب رسائلهم الى ذويهم في الجزائر، ويقرأ لهم الرسائل التي تصلهم من الجزائر ومن ذلك جاء في رسالة

أحد المهاجرين كتبها إلى أهله في الجزائر: "عاتب بعض الدول والأمم فرنسا ولامها عن قلة عنايتها بالرعايا الجزائريين، وتقصيرها في حقوقهم واستغلالها البشع لهم، الأمر الذي دفعهم إلى هجرة البلد، الله يدمر الكفار.... الله يحيي الأمة الإسلامية ويحيي الدين، إننا في بلد الأنبياء والرسول... يحيى أبوزكريا، وفي الأرض التي كلم الله فيها أنبياءه، وقتل فيها قابيل أخاه هابيل، وحيث اهتز الجبل طوال ثمانية أيام كاملة"⁽⁵⁰⁾. ومنذ هذا التاريخ أصبح للجزائريين تأثير هام في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وهو الشيء الذي أقلق كثيرا الحكومة الفرنسية من جهة وجعل الحكومة العثمانية تتساءل عن مصير الهوية الجزائرية مبدية في كثير من الأحيان عدم ارتياحها أمام تزايد أعداد المغاربة في سوريا من جهة أخرى⁽⁵¹⁾.

يقر الكتاب الفرنسيون أنفسهم بأن الجزائريين في الشرق الأدنى كانوا يتمتعون بحرية أكثر وتسهيلات أفضل، وليس يهمننا ما إذا كانت هذه الامتيازات قد منحت لهم لأسباب ترجع إلى الجامعة الإسلامية. وقد أعطي الجزائريون في الشرق الأدنى الأراضي وتسهيلات أخرى للإقامة، كما أعفوا من الخدمة العسكرية، وأدخلوا إلى كل المؤسسات العثمانية بما في ذلك الجيش، والإدارة، والمدارس، وكان الجزائريون ممثلين في جميع المستويات بعدد من المهندسين والأطباء والضباط والكتاب، وقد كان المترجم لدى البلاط العثماني لمدة طويلة ابن أخ للأمير عبد القادر⁽⁵²⁾.

نشاط الأميرين علي وعبد المالك:

كان من الطبيعي أن يبرز هنا دور الأمير عبد القادر وأبنائه وأحفاده، فقد جعلت منهم الأقدار ممثلين بارزين على مسرح الجزائر وسورية وفلسطين ومصر واليمن وطرابلس والمغرب الأقصى واسطنبول. وسواء أكانوا مع الدولة العثمانية أو مع القومية العربية فانهم كانوا هم المحركين للأحداث ابتداء من حادثة سنة 1860م في سورية، وهكذا وجدناهم وراء مشروع المملكة العربية في سوريا والجزائر، وقناة السويس، وبحر قاسم، وحرب طرابلس، والثورة العربية والجمعيات السرية القومية، والحكم العربي في سوريا، وثورة المغرب الأقصى وثورة فلسطين منذ الثلاثينات⁽⁵³⁾. ومن حيث الممارسة القتالية كانوا أقدم من أي طرف آخر إذ أن الأمير علي بن عبد القادر⁽⁵⁴⁾، التحق مع كوكبة من هؤلاء المهاجرين بليبيا عام 1911م، وبدأ مع الليبيين في مقاومة الغزو الإيطالي، وقد انظم إليه هناك جزائريون، كما أن أخيه عبد المالك أعلن ثورته في المغرب وأعلن استقلال فاس عام 1914م في ذات الوقت الذي كان الشيخ طاهر، والأمير عمر بن عبد القادر، وسليم السمعوني وغيرهم يعملون ضد تركيا⁽⁵⁵⁾.

بخصوص الأمير علي بن عبد القادر فقد لقي ترحيبا حارا من المجاهدين الليبيين بقيادة الطريقة السنوسية وزعيمها أحمد بن الشريف السنوسي ومن طرف السلطات التركية في الأراضي الليبية، يقول كتاب تاريخ حياة الأمير علي: "كان الأمير علي الذي برح الشام إلى سيرتا، قد وصل من سيرتا آتيا من بنغازي ليعرج على طرابلس ورغبته في أن يستنفر القبائل للمجاهدة ويبعث في قلوبها حماسة الذود عن الوطن الذي يضحي العرب في سبيله كل شيء ماعدا الشرف، وقد كان المجاهدون يومئذ ينتظرون ابن السلطان عبد القادر... فلما أطل عليهم، وقف الجميع حول الأمير بانتظام ونكسوا أسلحتهم أجلا وأحتراما، وهرع زعمائهم إلى لثم يديه وتقبييل راحتيه... وقد كرروا إطلاق البنادق حتى حكى دويها هزيم الرعد القاصف"⁽⁵⁶⁾. كما أن ثمة رسائل بين الأمير وأحمد الشريف السنوسي تحوي أخبارا عن حالة الجهاد ضد الغزاة الإيطاليين.

لعب الأمير علي أيضا دورا كبيرا في إصلاح ذات البين بين الحورانيين والدروز واستحق بذلك لقب باشا من السلطان العثماني، كما أشرف على الشؤون المالية لجريدة خاصة بالمهاجرين الجزائريين عرفت باسم المهاجر، وقد ظهرت في دمشق سنة 1912م وكانت تصدر مرة كل أسبوع نددت بالسياسة الاستعمارية التي تنتهجها فرنسا في الجزائر، ودافعت عن حقوق المهاجرين المغاربة في المشرق العربي⁽⁵⁷⁾، ثم توالى نجاحات الأمير علي حيث صار نائبا على مدينة دمشق في أفريل 1913م، ثم نائب رئيس الجمعية "البرلمان"، ومع نشوب الحرب الكبرى والانتصارات الأولى

التي حققتها القوات الألمانية والنمساوية والتحاق الدولة العثمانية إلى جانبها، سارع السلطان إلى التقرب أكثر من الأمير علي، وعهد إليه مهمة محاولة اقناع سجناء شمال إفريقيا من أجل محاربة الاستعمار الفرنسي البريطاني⁽⁵⁸⁾.

أما الأمير عبد المالك⁽⁵⁹⁾ نجل الأمير عبد القادر فلم تزل شخصيته غير مدروسة من طرف الباحث العربي دراسة كافية، وبالتالي الكشف عن جوانب شخصيته، حيث كان هذا الرجل الطموح وفي وقت متزامن من حركة أخيه علي في طرابلس وابن أخيه خالد في الجزائر قد بدأ بعد أن استضافه المخزن وأكرمه حسب الرسالة التي أرسلها إلى أقاربه في دمشق إكراما كبيرا وتعيينه في الشرطة الشرفية، بالاستفادة من منصبه للثورة ضد الفرنسيين. ويقول الدكتور أبو القاسم سعد الله عن الأمير عبد المالك: "ولما وجد الأمير مالك نفسه مؤيدا من القوات المركزية وإسبانيا من الخارج ومشجعا من أخيه الأمير علي وغيره من المهاجرين الجزائريين في الشرق الأدنى بالإضافة إلى نشاطات حرب العصابات وحركة الفرار من الجيش الفرنسي في الجزائر، ومتأكدا من الشعبية والسمعة بين المغاربة، أعلن الجهاد ضد فرنسا ونادى بنفسه "أمير فاس" ودعا أهل افريقية الشمالية أن ينضموا إليه في ثورة تشرف ذكرى أبيه الأمير عبد القادر، وفي رسالة إلى أخيه سنة 1916م أخبره فيها بخطته في الاستيلاء على الدار البيضاء وجعلها عاصمة له⁽⁶⁰⁾، وفي 17 ديسمبر 1914م كتبت جريدة "تصفيير أفكار" الصادرة في اسطنبول تقول أن الأمير عبد المالك بن الأمير عبد القادر الذي أعلن الجهاد الأكبر والذي طهر بعض المدن والموانئ من عساكر الفرنسيين وبعد تحقيق هذا النجاح أرسل رسالة إلى مركز الحكم في اسطنبول... وتضيف تصفيير أفكار في عددها المذكور أن الأمير عبد المالك أعلن حكومة مستقلة في إمارة فاس وهذا حق وراثي له في الحكم. وقد كتب الدكتور جلال يحي في كتابه تاريخ المغرب العربي الكبير: "وفي أثناء سنة 1915م ظهر نشاط واضح للأمير عبد المالك وهو ابن أخ الأمير عبد القادر الجزائري (الأصح أنه ابن الأمير عبد القادر) وكان يعمل قبل ذلك في المخزن، ثم ظهر أنه من القادة الثوريين الذين يمكنهم إثارة المشكلات أمام النفوذ الفرنسي في المغرب الأقصى، وكان لاسمه واسم أسرته علاوة على شجاعته وشخصيته ما يؤهله لقيادة حركة تحرير هامة، وتمكن من تنظيم مجموعات مسلحة أخذت في إعلان الثورة باسم الجهاد الإسلامي، ووحدت مجهوداتها في أقاليم الأطلس مع رجال قبائل زيان بقيادة موما أو ممو ورجال سيدي راحو. ونادى بنفسه أمير فاس وظل يقاوم ويحرض الناس على الجهاد حوالي عشر سنوات، إلى أن سقط شهيدا في قبيلة "بني تازين" من الريف، ونقل إلى تطوان ودفن فيها. وهكذا ربما بذكاء وحكمة حاولت أسرة الأمير عبد القادر أن تستفيد من كل القوى لصالح الاستقلال العربي، ودائما حاولت أن تستفيد من الأقل عداوة ضد من هو أكثر عداوة، أو كما عبر د. أبو القاسم سعد الله عن الأمير عبد المالك أنه قد تحالف مع أسوأ أعداء ألمانيا والدولة العثمانية⁽⁶¹⁾.

لم تكن أسرة الأمير وحدها في الميدان فقد ظهرت إلى جانبها أسماء لامعة من المهاجرين ساهم أصحابها في عدة ميادين تهتم القضية العربية، ومن أبرزهم بدون منازع الشيخ طاهر بن صالح الجزائري المعروف بالطاهر السمعوني⁽⁶²⁾، فقد كان لهذا الشيخ فضل عظيم في بعث الثقافة العربية وتكوين جيل من الأدباء والمفكرين والسياسيين بالإضافة إلى دوره في حزب اللامركزية وإنشائه وإدارته لعدة مؤسسات مثل المكتبة الظاهرية، وكان والده صالح السمعوني قد هاجر منقرى سمعون من نواحي بجاية، فولد له الشيخ طاهر في دمشق التي فيها نشأ وعاش وأعطى لها من جهده وعلمه الشيء الكبير⁽⁶³⁾. حيث يفتخر مؤرخو دمشق في القرن العشرين بالشيخ طاهر الجزائري الذي أقنع في القرن التاسع عشر الوالي التركي مدحت باشا⁽⁶⁴⁾ بأن يعتمد عليه وعلى الجمعية الخيرية في دمشق بفتح المدارس، ففعل الرجل الذي كان صدرا أعظم للسلطان عبد الحميد وامتاز بأنه إصلاحيا كبيرا، فاندفع الشيخ طاهر بتأسيس المدارس في كل من سورية وفلسطين وتغلب بحكمة وسرعة على كل المستفيدين من الجهل الذين عارضوا مشروعه خاصة بقايا تلك العائلات التي كانت تعارض مشروعه في نشر العلم بين الناس، فاستولى على كل الابنية

المهمة أو التي كانت مدارس فاستعملت لغير ما بنيت له وأعاد لها دورها وفتح مدارس جديدة⁽⁶⁵⁾، ومن أهم المدارس التي ساهم الجزائريون في تأطيرها وتأسيسها⁽⁶⁶⁾:

- مدرسة عنبر.

- مدرسة الإرشاد والتعليم.

- المدرسة الريحانية.

- مدرسة ابن خلدون.

- مدرسة النهضة العلمية.

- مدرسة دوحه الأدب

ومن أسرة السمعوني أيضا يبرز الضابط الشجاع سليم السمعوني (ابن أخ الشيخ طاهر)، وكان سليم من أنبل وأهم قادة الحركة العربية التي كانت تعارض الحكم العثماني، فكان جزاؤه الشنق على يد جمال باشا المشهور بالسفاح سنة 1916م، ضمن قائمة طويلة من شهداء القومية العربية، أما عائلة المبارك التي هاجرت من دلس فقد اقتصر نشاطها على علوم الدين واللغة، فكان منها ثلاثة أو أربعة على الأقل من نوابغ الأدباء واللغويين في هذا العصر، اشتهروا ببحوثهم ومؤلفاتهم وعضويتهم في المجامع اللغوية.

كذلك نجد من بين الشخصيات المؤثرة مصطفى بن التهامي⁽⁶⁷⁾ صهر الامير وخليفته على معسكر ورفيقه في أمبواز ومؤدب أولاده في المهجر، وكان ابن التهامي أديبا وله شعر مخطوط، ومن مدرسي الجامع الأموي، اضافة لأحمد بن الطيب بن سالم⁽⁶⁸⁾ خليفة الامير عبد القادر على حمزة "البويرة"، وكان ابن سالم قد هاجر الى المشرق قبل هزيمة الامير بعدة شهور، وقد ظل دور البشير الابراهيمي⁽⁶⁹⁾ في سورية غير واضح رغم قصر المدة التي قضاها هناك قبل رجوعه الى الجزائر سنة 1920م⁽⁷⁰⁾.

وهكذا فانه ليس خافيا على أحد أن المهاجرين الجزائريين في الشام سواء على مستوى القيادات السياسية والدينية أو على مستوى الجماهير الشعبية ضلوا يرفعون صوت الجزائر وعموم المغرب العربي ويطالبون بالاستقلال ويناضلون من أجل ذلك ببسالة لا تقل عن بسالة أهلهم في الوطن الأم، بل ان كثيرا من المراجع التي تتحدث عن الحركة الوطنية الجزائرية تنسب اليهم اسهامات مشرفة في هذه الحركة، كما هو حال الكتب التي تتحدث عن الحركة الوطنية في سورية وفلسطين⁽⁷¹⁾.

خاتمة:

تظافرت مجموعة من العوامل لخلق ظاهرة الهجرة نحو بلاد الشام، ولعل الإشارة الى السياسة الفرنسية اتجاه الجزائريين تعد أكثر من ضرورة، ذلك أن السلطات الفرنسية طبقت اجراءات شديدة التنوع، وكان ذلك من خلال مراسيمها وتشريعاتها المختلفة، والتي مست مختلف الميادين أدت في النهاية الى دفع عدد كبير من أبناء البلد الأصليين الى مغادرة قراهم ومدائهم والتوجه نحو المشرق العربي "بلاد الشام" بما فيهم الأعيان والقادة والعناصر الفاعلة في الساحة الدينية والسياسية، حينما تعرضوا للاتهام من قبل الاحتلال بالتآمر ضد الفرنسيين أو بالانضمام الى مقاومة الامير عبد القادر.

وكان من الطبيعي أن يبرز على مسرح الأحداث دور الامير عبد القادر وأبنائه وأحفاده، وأخص بالذكر الامير علي، والامير عبد المالك ومساهماتهم في ليبيا والمغرب الاقصى ضد الاستعمار الاوربي، تنديدا وقتالا، وقد اعتاد الجزائريون من خلال أحاديثهم وصحافتهم أن يشنوا حملة مسمومة ضد السياسة الفرنسية في الجزائر مركزين على القوانين الاستثنائية التي يقولون بأنها قد حولت الجزائريين الى عبيد وبؤساء، ومجمل القول أن الهجرة الى بلاد الشام كانت

تعبيرا عن رفض شعبنا للعبودية، فلاذ فريق بإخوانه في المشرق والمغرب يلتمس الحرية والأصالة والقيم الروحية، ويقاسمهم اليسر والشدة، وانتقل آخرون الى فرنسا التماسا لقمة العيش حتى وان كانت خارج الاطار الزمني لبحثنا، وكان لذلك آثار هامة على تطور أفكار المجتمع و أساليب نضاله، ما أسهم في مد الجسور مع العالمين العربي و الاسلامي، وفي ميلاد الحركة الوطنية الجزائرية.

الهوامش:

- 1- حبيبة، بقلوش: الهجرة غير الشرعية مأزق أمني في البحر الابيض المتوسط، مجلة قانون العمل التشغيل، عد: 04، جامعة وهران، 2017، ص 155.
- 2- الكيالي، عبد الوهاب: موسوعة السياسة، ج 7، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، دت، ص 67.
- 3- كراغل، محمد: الهجرة القسرية الى تونس أثناء الثورة 1955-1962 "اللاجئون الجزائريون أنموذجا"، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج: 05، سبتمبر 2017، ص 294.
- 4- يأتي هذا المؤتمر ضمن المؤتمرات الدولية بين ضفتي المتوسط باعتباره الأول من نوعه، تحت عنوان مسؤولية مشتركة لتحقيق هدف مشترك: التضامن والأمن، واستند إلى شراكة معززة بين الدول الأوروبية ودول العبور الأفريقية، لإدارة متكاملة لظاهرة الهجرة، قادرة على الجمع بين مبدأي التضامن والأمن. أنظر إلى: موقع ليبيا المختار الاخباري: ليبيا المختار، 2019/08/25، <https://libyaalmokhtar.com/?p=34141>
- 5-M. Henri Bunle ,Mlle Claude Levy, Histoire et chronologie des réunions et congrès internationaux sur la population, Population , 1954, p.18.
"https://www.persee.fr/doc/pop_0032-4663_1954_hos_9_1_3167"
- 6- زوزو، عبد الحميد: الدور السياسي للهجرة الى فرنسا بين الحربين (1914-1939م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2007، ص 11.
- 7- سامية بن فاطمة، بوبكر حفظ الله: المرجع السابق، ص 124.
- 8- بلاح، بشير وآخرون: تاريخ الجزائر المعاصر، ج 1، دار المعرفة، الجزائر، 2010، ص 109.
- 9- سعد الله، أبو القاسم: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 3، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص 193.
- 10- سعد الله، أبو القاسم: المرجع نفسه، ص 193.
- 11- بلاح، بشير وآخرون: المرجع السابق، صص 109، 110.
- 12- زين العابدين، علي: الهجرة نحو فرنسا وانعكاساتها السياسية والاقتصادية والسوسيوثقافية على المجتمع الجزائري، المجلة المغربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، مج: 08، عد: 13، جامعة قسنطينة 2، ديسمبر 2017، ص 76.
- 13- عباس، سليمان وعبد الكريم أحمد، أسماء: جرائم الابادة الجماعية في سياسات فرنسا الاستعمارية حيال الشعب الجزائري 1945-1954م، مجلة جامعة كركوك للدراسات التاريخية، مج: 12، عد: 03، جامعة كركوك، 2017، ص 108.
- 14- أوليفي، لوكور غرانميزون: الاستعمار الابادة تأملات في الحرب والدولة الاستعمارية، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2008، ص ص 05-06.
- 15- احميده، عميراي وآخرون: آثار السياسة الاستعمارية والاستيطانية في المجتمع الجزائري (1830-1954م)، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954م، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص 50.
- 16- توفيق المدني، أحمد: هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2001، صص 131، 132، 134، 135.
- 17- غانم، محمد: من أرشيف الادارة الاستعمارية في الجزائر "الوثائق الفرنسية والهجرة الى الديار الاسلامية، مجلة انسانيات، عد: 12، ديسمبر 2000، ص 35.
- 18- العنثري، صالح: مجاعات قسنطينة، تق: جونار رايح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، صص 54، 55.
- 29- الشيء الذي دفع الفلاحين الجزائريين الى مغادرة أراضهم التي أصبحت لا تفيدهم في شيء، سوى أنها تدفع بهم الى الهلاك جوعا، فمنهم من تاه وهام داخل البلاد الى ان استقر هنا أو هناك مستأجرا قوة عضلاته الى غيره من الاقطاعيين الجزائريين والمستوطنين

- الأوربيين بثمان بخص، ومنهم من أبى وامتنع وفضل الهجرة والغربة. ينظر إلى: هلال، عمار: الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام (1847-1918م)، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، صص 16، 17.
- 20- بوعزيز، يحيى: سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية 1830-1954م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، صص 36، 37.
- 21- سامية بن فاطمة، بوبكر حفظ الله: المرجع السابق، ص 134.
- 22- سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، صص 119، 120.
- 23- العقاد، صلاح: المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 6، مصر، 1993، صص 154، 155، 156.
- 24- سعد الله، أبو القاسم: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 3، المرجع السابق، صص 193، 194.
- 25- تاوتي الصديق: المبعدون إلى كاليديونيا الجديدة مأساة هوية منفية، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 136.
- 26- هلال، عمار: الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام (1847-1918)، دار هومة، الجزائر، 2007، ص 18.
- 27- سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2، المرجع السابق، ص 120.
- 28- توفيق المدني، المرجع السابق، ص 148.
- 29- هلال، عمار: المرجع السابق، ص 14.
- 30- سعد الله، أبو القاسم: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 3، المرجع السابق، ص 196.
- 31- بوعزيز، المرجع السابق، ص 45.
- 32- سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2، المرجع السابق، ص 121.
- 33- الخالدي، سهيل: الإشعاع المغربي في المشرق، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2016، ص 184.
- 34- بوعزيز، يحيى: الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1983، ص 288.
- 35- الخالدي، سهيل: المرجع السابق، ص 186.
- 36- نوميض، عادل: أعلاء الجزائر، مؤسسة نوميض الثقافية، ك 2، بيروت، 1980.
- 37- الخالدي، سهيل: المرجع السابق، ص 188.
- 38- بناء على سهيل الخالدي فإن جريدة كانت تصدر باسم "المهاجر صدرت هذه الأسبوعية كما يقول فيليب طرزي في 1912/01/21 م و كان رئيس تحريرها كما و وارد على صفحتها الأولى التهامي شطة و كان مقرها نفس مقر جمعية مهاجري شمال افريقية، و يبدو أن الأمير سعيد بن علي ترأس هذه الجمعية اعتبارا من عام 1915 م كما يفهم من كتاب جورج فارس. ينظر إلى: الخالدي، سهيل: المرجع نفسه، ص 220.
- 39- سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2، المرجع السابق، صص 125، 126.
- 40- منشورات مخبر الدراسات والأبحاث الاجتماعية التاريخية حول الهجرة والرحلة: هجرة الجزائريين إلى المشرق العربي بين السياسة والدين 1848-1912م، أعمال الملتقى العلمي الأول حول سوسيولوجيا الهجرة الجزائرية في تاريخ الماضي والحاضر، جامعة منتوري قسنطينة، اشرف كمال فيلاي، ماي 2008، ص 107.
- 41- سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2، المرجع السابق، ص 127.
- 42- الأمير عمر نجل الأمير عبد القادر والذي أشادت بعض الصحف والتقارير بخصاله ومناقبه وبشخصيته الفذة والبطولية، وخاصة حسه العملي فقد حظي برعاية خاصة من قبل القصر العثماني، وتزوج ابنة "عزت باشا" ولكن مع بداية حكم "لجنة الاتحاد والترقي" بدأت متاعب الأمير علي مع القصر، وحاول التقرب مع القنصل الفرنسي "Paitit"، واستطاع أن ينسج علاقة طيبة مكنته من يحصل على وسام "الفرس الشرفي" تكريما على انقاذه للمسيحيين في منطقة كراك، التابعة للقدس عام 1910م، لكن السلطات التركية عاودت الاتصال به وتقريبه من الحياة العامة والتماس خدماته خاصة في دمشق. ينظر إلى: منشورات مخبر الدراسات والأبحاث الاجتماعية التاريخية حول الهجرة والرحلة: المرجع السابق، ص 114.
- 43- منشورات مخبر الدراسات والأبحاث الاجتماعية التاريخية حول الهجرة والرحلة: المرجع السابق، ص 106.
- 44- سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2، المرجع السابق، ص 127.
- 45- الخالدي، سهيل: المرجع السابق، صص 190-191.
- 46- الخالدي، سهيل: المرجع نفسه، صص 193-194.

- 47- سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، المرجع نفسه، صص 129، 130.
- 48- الخالدي، سهيل: المرجع السابق، ص 205.
- 49- سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، المرجع السابق، صص 124، 125.
- 50- منشورات مخبر الدراسات والأبحاث الاجتماعية التاريخية حول الهجرة والرحلة: المرجع السابق، صص 106-107.
- 51- هلال، عمار: المرجع السابق، ص 29.
- 52- سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، المرجع السابق، ص 125.
- 53- سعد الله، أبو القاسم: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج3، المرجع السابق، ص 198.
- 54- يعتبر الأمير علي نجل الأمير عبد القادر من أبرز الشخصيات التي خاب ظنها في سنوات ارتباطه بالحكم التركي، عندما سارع إلى الاعراب عن رده عن الجنسية التركية ودفع الثمن باهضا حيث قام النظام بإعدامه سنة 1916 من قبل السفاح جمال باشا. ينظر إلى: منشورات مخبر الدراسات والأبحاث الاجتماعية التاريخية حول الهجرة والرحلة: المرجع السابق، ص 114.
- 55- الخالدي، سهيل: المرجع السابق، ص 205.
- 56- سعيد، محمد: تاريخ حياة طيب الذكر الأمير علي بن الأمير عبد القادر الجزائري، مطبعة الترقى، دمشق، 1918، صص 41، 40.
- 57- هلال، عمار: المرجع السابق، ص 16.
- 58- منشورات مخبر الدراسات والأبحاث الاجتماعية التاريخية حول الهجرة والرحلة: المرجع السابق، ص 115.
- 59- الأمير عبد المالك نجل الأمير عبد القادر تلقى تعليمه وتدريبه العسكري في الشرق الأدنى أصبح عقيدا في الجيش العثماني وعلى اثر المضايقة التي تعرض لها من طرف الدولة العثمانية بسبب نشاطه السياسي مع حزب تركيا الفتاة قبل توليها الحكم، فر الأمير عبد المالك من الجيش ليتقرب من القنصل الفرنسي بغرض الحصول على الجنسية الفرنسية، عرج إلى مصر ومنها إلى المغرب "طنجة" عام 1902 م، واستقر به المقام بها، وصار أحد خدام المصالح الفرنسية، وفي الصراع الذي دارت رحاه في القصر الملكي انحاز عبد المالك إلى صف مولاي عبدالعزيز، ضد السلطان مولاي عبد الحفيظ الأمر الذي كلفه الاعتقال ثم الإفراج عنه بعد تدخل القنصل الفرنسي رينيو Regnault وتذكر التقارير بأنه حصل على الجنسية الفرنسية، وبعد اعلانه الثورة ضد الاحتلال الفرنسي حوالي عشر سنوات، إلى أن سقط شهيدا في قبيلة "بني تازين" من الريف، ونقل إلى تطوان ودفن فيها. ينظر إلى: منشورات مخبر الدراسات والأبحاث الاجتماعية التاريخية حول الهجرة والرحلة: المرجع نفسه، ص 113.
- 60- سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، المرجع السابق، صص 227-228.
- 61- الخالدي، سهيل: المرجع السابق، صص 210-214-215.
- 62- الشيخ طاهر السمعوني والمعروف بالجزائري وقد قال عنه صاحب "نفحة الشام في رحلة الشام" الأستاذ الأوحى والعلامة الشيخ طاهر أفندي الجزائري المغربي مفتش جمعية المعارف بولاية سوريا السنية حالا وهو من الذكاء والفتنة على جانب عظيم وبواسطته تقدمت المعارف والمدارس في الولاية إلى الغاية، فقد سعى في تمهيد طرق التعليم بأحدث الطرق السهلة في التفهيم حتى أنه جمع كتباً سهلة المأخذ من فنون شتى كالأدب والطبيعة والتاريخ، وقد سارع على درب الشيخ أحمد الهاشي الذي نذر نفسه لعلم الرياضيات حتى سماه الأتراك أحمد جودت الرياضي. الخالدي، سهيل: المرجع نفسه، صص 310-311.
- 63- ذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله بأن الشيخ طاهر الجزائري وابن أخيه سليم السمعوني كانا من تلاميذ الشيخ محمد عبده، و أثناء انتقال هذا الأخير بين مصر و الشام و أوروبا، التقى الأمير عبد القادر عدة مرات، كما التقى بولديه محمد ومحي الدين، وهذا دليل على وجود علاقات حميمة و شخصية بين قادة الرأي عندئذ. ينظر إلى: سعد الله أبو القاسم: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 200.
- 64- ولد أحمد شفيق وهو الاسم الحقيقي لمدحت باشا في اسطنبول عام 1822م ونشأ في بلغاريا حيث كان والده قاضيا على بعض نواحيها وظهرت نجابة مدحت باشا منذ حداثة سنه فحفظ القرآن الكريم وتعلم اللغتين العربية والفارسية إضافة إلى لغته الأصلية التركية لذلك لقب بمدحت نظرا لذكائه ونجابته. كما برع في الخط والكتابة الأمر الذي ساعده في العمل ككاتب في مجلس الصدر الأعظم وهو لم يبلغ العشرين من العمر، أصبح سياسي عثماني تولى مناصب عديدة في الدولة العثمانية، منها الصدر الأعظم (رئاسة الوزراء) ووزير العدل وخدم قبلها واليا لولاية بغداد وولاية دمشق وولاية سالونيك. تمت محاكمته بأمر من السلطان عبد الحميد الثاني بتهمة الضلوع في اغتيال عمه السلطان عبد العزيز وحكم عليه بالإعدام إلا أن الحكم خفف إلى المؤبد ونفي إلى الطائف حيث مات فيها مخنوقا في ظروف غامضة عام 1884م، يعتبر مدحت باشا من أشهر الإصلاحيين العثمانيين الذين تبنا فكرة الإصلاح على الطريقة الأوروبية

- ولقب بـ "أبو الدستور" و"أبو الاحرار" حيث سعى إلى إعلان القانون الأساسي وظهور البرلمان العثماني عام 1876م. ينظر إلى: الموقع الرسمي لآل الزهراوي: مدحت باشا، الاحد 2019/09/15، 10:00، http://zehrawi.com/?module=m_articles&id=768.
- 65- الخالدي، سهيل: المرجع السابق، ص 310.
- 66- سبقاق، الطاهر: اسهامات الجزائريين في الحقل الثقافي السوري بين 1830-1914، الواحات للبحوث والدراسات، عد: 11، 2011، ص 173.
- 67- ولد أحمد بن مصطفى بن أحمد التهامي الغريسي بمعسكر سنة 1205هـ الموافق لـ 1788م وهو من أسرة متدينة ومتميزة بالثروة، كان والده من علماء الوقت ينتمي إلى أسرة الأمير عبد القادر وخليفته على معسكر ونواحيها، وقف بن التهامي مع الأمير عبد القادر في كل مراحل حياته بدأ من بداية المقاومة وصولاً إلى تاريخ الاستسلام، حيث كان أحد أعضاء قيادة جيشه الذين استشارهم في آخر اجتماع عقده لهذه القيادة في 22 ديسمبر 1849، وصفه المشرفي بأنه سيئوبه زمانه بمعرفته بالنحو وقد درس البلاغة والتفسير في الجامع الأموي بدمشق بعد الهجرة إليها مع الأمير، توفي بدمشق سنة 1283هـ الموافق لـ 1866م حيث دفن بمقبرة الدحداح. ينظر إلى: سعد الله، أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان، 1998، ص 234. وللمزيد من التفاصيل ينظر إلى: لونيبي، ابراهيم: مصطفى بن التهامي (1788-1866م) العالم ورجل الدولة، مجلة عصور، عد: 03، جوان 2003، ص 02.
- 68- أحمد الطيب بن سالم خليفة الأمير في منطقة حمزة (البويرة) التي كانت قاعدة للمجاهدين في منطقة الزاوية التي تضم ما يغرف اليوم بتيزي وزووجاية، من عائلة الدلسي هاجر إلى دمشق سنة 1947م مع محمد الحسن بن محمد العربي اليعقوبي والمهدي السكلاوي ومحمد المبارك وغيرهم في الهجرة السياسية العربية الأولى في التاريخ المعاصر التي عرفت "بهجرة العلماء"، وقد قام هؤلاء بدور ثقافي وديني في الشام امتد لشمّل حالة من النهوض السياسي وقيادة حركة الفكر القومي العربي في وجه للاستعباد الطوراني ونوايا الدول الأوروبية الكبرى لاستعمار المنطقة وزرع الفتنة بين النصارى والمسلمين. ينظر إلى: الخالدي، سهيل: مكانة الجزائريين في الحركة الفكرية (التصوف) ببلاد الشام مهاجروا تلمسان نموذجا، مجلة أفكار وآفاق، عد: 03، دمشق، (جانفي-جوان) 2012، ص ص 108-113.
- 69- ولد الشيخ محمد البشير طالب الابراهيمي بقرية "رأس الوادي" بناحية مدينة سطيف بالشرق الجزائري في 14 يونيو عام 1889، وفي بيت أسس على التقوى من بيوتات العلم والدين، وقد أتم حفظ القرآن الكريم على يد عمه الشيخ المكي الابراهيمي الذي اكتشف مواهبه المبكرة، وكان له الفضل الأكبر في تربيته وتكوينه حتى جعل منه ساعده الأيمن في تعليم الطلبة، والحديث عن الابراهيمي هو حديث عن الجزائر أصالة وحضارة وصمودا ونهضة وتحرا، فقد جسد الجزائر في شخصيته: نشأة وتكوين وإشعاعا وقولا وكتابة وسلوكا، وهذا من خلال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي نشط فيها الابراهيمي مع غيره من اخوانه العلماء، فكان نائبا لرئيسها الأول الامام عبد الحميد بن باديس في حياته، ثم رئيسا لها بعد وفاته، تبنت جمعية العلماء مشروعا يقوم على الدين والعلم والأخلاق إيمانا منها أن هذه العناصر الثلاثة توصل الشعب الجزائري إلى الاستقلال، توفي الشيخ الابراهيمي -رحمه الله- في 20 ماي 1965م. ينظر إلى: الابراهيمي، محمد البشير: آثار الامام محمد البشير الابراهيمي، ج 1 (1929-1940)، تق: أحمد طالب الابراهيمي، دار الغرب الاسلامي، ط1، 1997، بيروت، ص ص 5-8-9.
- 70- سعد الله، أبو القاسم: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج3، المرجع السابق، ص ص 198، 199.
- 71- الخالدي، سهيل: المرجع السابق، ص 217.